ميشال بصبوص: نعد نصباً يرتفع ٣٥ متراً والبقية تأتي تباعاً شرقية

راشانا — من كمال حيدر :

قد يعتبر ، طلب رئيس بلدية جدة ، الشيخ سعيد محمد الفارسي ، ومستشار جلالة الملك خالد السيد كمال ادهم ، من الاخوة بصبوص ، تزيين ساحات مدينة جدة بمنحوتات ونصب فنية ، نصرا للفنان العربي الحديث ، وخبرا مهما ومفرحا بالنسبة الى الاخوة بصبوص انفسهم ، وللحركة الفنية في لبنان على العموم .

فاذا تأملنا هذا الطلب ، كقناعة وكطموح من قبل المسؤولين في المملكة ، نصل بالضرورة الى جوهر المنطلقات الفنية في العالم العربي ، والتي ما تزال آخذة في التبلور منذ اكثر من نصف قرن ، اي الوصول الى فن يكمل الماضي ، ويكون ، في الوقت نفسه ، مواكبا لتطلعات الانسان المعاصر .

من هذه الزاوية ، يجيء طلب المملكة من الاخوة بصبوص ، انتصارا لهذا الخط الفني وتقديرا للتجربة الفنية التي غامر فيها الاخوة بصبوص ، منذ ربع قرن .

عن رحلتهم الفنية الى السعودية ، يقول ميشال بصدوص :

كانت مفاجأة لنا . ففور وصولنا الى جدة ، استقبلنا رئيس بلديتها الشيخ سعيد محمد الفارسي ، واخذ يطوف معنا حول الساحات وفي الشوارع الضخمة التي كانت تزينها اعمال ضخمة لكبار الفنانين في العالم : مثل هنري مور ...

واحسست بعد رؤيتي لهذه الساحات ، وما يزينها من تماثيل ، بسعادة ، لان الدولة تبني وتزين للشعب . وابديت اعجابي هذا لرئيس بلدية جدة الذي اكد لي ، في المقابل ، اصراره على اختيار فنانين عرب .

دراسات دراسات

واضاف ، ميشال بصبوص : اعرب لنا رئيس بلدية جدة عن رغبته في ان نضع دراسات ملائمة لتجميل الساحات في المدينة ، وستحضر لنا الخرائط لاجل ذلك . من هذا المنطلق ، كان الخبر مفاجأة لنا عن البصابصة ، نظرا لان السعودية هي اول بلد عربي يفتح ذراعيه لاعمالنا الفنية المستوحاة من الفن العربي الشرقي الاصيل .

■ في ورشة راشانا النحتية الاخوة بصبوص : جوزف ، ميشال والفريد بصبوص ■ (تصوير محمد المصري)

ويضيف ميشال بصبوص : ان الجالية اللبنانية في السعودية ، تقديرا منها للمملكة وما تقدمه للبنانيين من رعاية ، ومعاملة مثلى ، طلبت من البصابصة كذلك ، تحقيق نصب تجريدي ، من اكبر الانصاب الفنية في العالم ، يستوحي في اسلوبه الطابع السعودي لكي يوضع في الساحة العامة في جدة . وقد تقرر ان يكون ارتفاع النصب ٣٥ مترا ..

ويضيف ميشال بصبوص : وبعد ان اطلعنا مستشار جلالة الملك ، السيد كمال ادهم ، على بعض المنحوتات ، طلب منا تحضير ما يلائم الساحات السعودية باسرع وقت ..

عودة الى التأمل

نعود الى تأمل هذا الطلب ، لنعود من جديد الى الحديث عن التوجهات الفنية في العالم العربي ، والى كيفية فهم الاخوة بصبوص ، هذا التوجه .

من هذه الزاوية ، يمكن ان نعتبر اعمال ميشال بصبوص بالذات ، اعمالا تطور التجريد كما عرفه فن الزخرفة او الارابيسك في اتجاه التجارب والخبرات الفنية التي عرفها العصر الحديث .

فمنحوتات ميشال بصبوص التجريدية هي عودة الى جوهر التجريد الشرقي من جهة الابتعاد عن نقل المرئي وتجسيده مرة ثانية في العمل الفني ، والوقوف الى جانب الحركة التي هي ، في النهاية ، اصل وجود كل شيء مرئي .

انها العودة الى اصل الفلسفة الفنية ، والى الرؤيا الكبيرة التي كانت وراء هذا الفن الضخم الذي عرفه العالم العربي ، في الماضي : اي الفن الذي يزين العالم كله . ويكون شاهدا على فرح الانسان الكلي بالوجود .

واذا كان فن الزخرفة ، او اذا كانت هذه الرؤية تجسدت في التجريد الهندسي الذي لم يترك مليمترا مربعا واحدا دون ملئه ، فان الجديد الذي حققه البصابصة في منحوتاتهم هو انهم مرروا هذا التجريد من تلك الهندسية المغلقة ، وحرروا الخطوط والدوائر من مصيرها الذي كانت تنقاد اليه بالضرورة ، وهو الانغلاق النهائي في ترتيب ونظام لا يمكن الخروج عنه .

الجديد اذن ، هو اعادة الاعتبار الى الفنان الفرد ، الفنان الانسان ، من جهة ، والوقوف الى جانب الحرية في الابتداع كشاهد على اهمية هذه الفردية .

فالفنان العربي الذي كان يزين العالم ويترجم كل شيء الى هذه الحركة اللانهائية في تقاطع الخطوط ودورانها ، لم يكن موجودا كفرد . لا كمواطف او احاسيس او افكار . بل كان يدا تنفذ هذه الرؤيا التي اقتنعت بها الجماعة .

ولم يكن ، في المقابل ، التفرد برؤية او اسلوب خاص ممكنا في غياب هذه الفردية .

الارض الصلبة

ميشال بصبوص ، كفنان معاصر انتمى الى الحداثة . اي انتمى الى التجربة الشخصية ومعاناة الانسان الفرد ، اخذ من الحداثة هذا الجانب.

وميشال بصبوص الذي يريد ، في الوقت نفسه ، الوقوف على ارض صلبة وقف الى جانب الفلسفة الفنية التي دفعت الفن العربي القديم الى مثل هذه العظمة .

ذلك انه يعتقد بان استلهام التراث ، لا يكون في الوقوف عند تفاصيل هذا التراث واعادة هذه التفاصيل في العمل الفني الحديث . فذلك نوع من الضعف . ان استلهام التراث ، يعني استلهام الفلسفة الفنية التي كانت وراء هذا التراث او الرؤياء ، او القناعة ، او الحاجة الانسانية التي ساعدت وحضنت وقبلت واحبت هذا الفن .

وكما ينظر ، فان الموقف الفني الجديد ، ان لا يبتعد كثيرا عن شخصية اصيلة له ، وان لا يتقوقع على ماضيه. لا بد له من ان يختار من الماضي رؤيته الكبرى ، ومن الحداثة الحرية والاحترام المقدس للانسان كفرد قادر على ان يعطي ويبدع .

حاول بصبوص اخيرا ، ان يحقق هذه النظرة في اعماله ، اذ نراه يستلهم من الفن العربي ، التجريد لكنه التجريد الحر غير المقيد بنظام هندسي مغلق وشبكة كامل ، بحيث يستعيض بواسطة هذه الحرية المشاعر الملغاة والزمن الملغى في التجريد القديم .

بمعنى اخر ، تصبح هذه الحرية في تشكيل وتوجيه الحركة هي نفسها المشاعر الدفينة ، وهي ايضا الزمن ، اي عمر هذه المشاعر وتطورها .

وهو بذلك يضيف الى الثبات والكمال الذي عرفه التجريد القديم : الفردية والحرية .